عمال العراق يحتفلون بعيدهم العالمي

كيف تحولت اللجان النقابية في زمن الطاغية إلى لجان بوليسية في خدمة دوائر الامن

يحتفل عمال العالم وعمال العراق بمناسبة الاول من آيار الذي يمثل حصيلة نضال طويل وشاق في سبيل حقوقهم في الحياة الكريمة والمستوى المعيشي الذي يتطلعون اليه. وهذا العيد يأتي في ظل اوضاع غير طبيعية على مستوى العراق والمؤمل في طبقته العاملة ان تساهم بفاعلية في سبيل استقرار العراق والمحافظة على ارضه والدفع بعملية الانتاج نحو المزيد من التطور والتقدم وتحقيق الاماني.

بغداد / عبد الزهرة المنشداوي

من انتفاضات الحركة العمالية في العراق

من الارث النضالي لعمال العراق

قصة عيد

في عام ١٨٨٤ اتخذ اتحاد العمل الاميركي قراراً باستخدام سلاح الاضراب العام من اجل يوم الـ (٨) ساعات عمل وفي الاول من أيار عام ١٨٨٦ قاد الاتحاد المذكور الاضراب تحت شعار ثماني ساعات عمل، ثماني ساعات نوم، ثماني ساعات راحة.

وفي اليوم الرابع عقد العمال اجتماعاً في (هاي ماركيت) بشيكاغو احتجاجاً على قتل ستة من العمال المضربين في مشروع (ماك كروميك) للآلات الزراعية. اذ القى بعض المجهولين قنبلة قتلت سبعة من رجال الشرطة وهذه العملية دبرت من اجل اجهاض الحركة العمالية وتلاحقت الاحداث، ففي ١١ / ١١ / ١٨٨٧ تم اعدام قادة الحركة النقابية في الولايات المتحدة الاميركية (بارسون ويستشر) وزملائه وبعد اثني عشر عاماً استيقظ ضمير مدير الشرطة واعترف بالمؤامرة التي دبرت ضد العمال فأعيدت المحاكمة وبرئت ساحة العمال من مقتل الشرطة وفي عام ١٨٨٩ قرر المؤتمر الاشتراكي الدولي الثامن اعتبار أول أيار عيداً عمالياً عالمياً. عمال بريطانيا كانوا أول من أيار المحتفلين به في عام ١٨٩٢ واجبروا الدولة على اعتباره عيداً رسمياً بينما في عام ١٨٩٤ اعترف الكونغرس الاميركي بالأول من أيار عيداً عمالياً لعمال امريكا اعقبه الاتحاد السوفيتي باعتباره عيداً قومياً ولاهداف سياسية غيرت الولايات المتحدة عيد العمال من اول أيار إلى أول يوم اثنين من شهر أيلول وتبعتها بذلك كندا وفي العام ١٩٦٠ قرر العمال العرب الاحتفال باول أيار من كل عام تخليداً لانتصارهم في معركة الباخرة (كيلو بوترا) بينما نصت الانظمة الداخلية للنقابات العمالية العربية على الاحتفال بأول أيار باعتباره عيد الطبقة العاملة عام ١٩٦٤ وفي عام ١٩٥٩ احتفل العمال العراقيون بهذه المناسبة علنياً وبتظاهرة جماهيرية على امتداد الجغرافية العراقية.

النقابات العراقية.. البداية والتأسيس

السيد شايع قاسم الموسوي من الذين اسهموا في تأسيس النقابات العراقية وتطورها بدءاً من العقد الرابع من القرن المنصرم. انتخب عدة مرات لترؤس نقابة السكائر ويتحدث عن البدايات فيقول:

تاريخ تطور النقابات ونشأتها في العراق يمكن تحديده بعام ١٩٢٧ وهو تاريخ تأسيس جمعية اصحاب الصنائع العراقية لكن هذه الجمعية اغلقت بعد اربعة اعوام من تأسيسها أي في عام ١٩٣١ وهو العام الذي اعتقل فيه رئيسها الحاج محمد صالح القزاز. وعلى اثر ذلك طالب العمال العراقيون بإنشاء جمعية تمثلهم وتطالب بحقوقهم فتم لهم ذلك اذ اجيز لهم انشاء جمعية سميت حينها باسم جمعية العمال العراقية.

لكن السلطة واصحاب المعامل اتفقوا من وراء ظهر العمال مع رئيسها (عبد الرزاق السامرائي) من اجل تسخيرها لخدمتهم، لكن يقظة العمال حالت دون ذلك فكانوا ينشرون البيانات لاهم التطورات التي كانت تطرأ على العمل النقابي ومن بيانات تلك المرحلة، البيان الذي اصدرته وفصلت بموجبه رئيسها لمحاولته الوقوف إلى جانب السلطة وخروجه عن خط جمعية اصحاب الصنائع التي اغلقت في ١٤ / ١٢ / ١٩٣١، يتضح من هذا أن الجمعية كانت لولب حركة الجمعيات العمالية والرائدة في كفاحها ويذكر إنها قامت باصدار بيانها الاول الذي هددت فيه بالاضراب ضد مديرية السكك الحديد على اثر قيامها بخفض اجور العمال وفسخ عقود المقاولين العراقيين وفصل عدد كبير من العمال واحلال العناصر الاجنبية بدلاً عنهم.

مديرية السكك كانت تدار من قبل المستعمرين البريطانيين. كانت المطالبة بزيادة الاجور وعدم السماح باحلال العمال الاجانب محل العراقيين، مطالبة حظيت بتأييد كل العراقيين وكانت تمثل صراعاً وطنياً ضد الاحتلال الانكليزي.

وهكذا دأبت النقابة على اصدار البيانات محذرة الطبقة العاملة العراقية من مغبة السكوت عن استهتار ادارة السكك الحديد والدعوة لخوض الصراع من اجل الاستقلال. هذا ما كانت تقوم به جمعية اصحاب الصنائع العراقية ساعدها في ذلك نجاح عمال سورية في حصولهم على ذات المطالب وما دامت الشركة قد انصاعت للعمال في سورية فلا بد لها ان تستجيب لعمال العراق. هذه هي جمعية اصحاب الصنائع العراقية وكفاحها التي تمثل أولى تجارب العمل النقابي في العراق. وفي عام ١٩٣٢ اجازت الحكومة انشاء جمعية عمال الميكانيك وحاولت الالتفاف عليها وتسخيرها لمصلحتها لكن عمال هذه الجمعية كشفوا لعبة السلطة وحشدوا قواهم وحثوا العمال على الانتساب فضموا الاغلبية وتمكنوا من الفوز في الانتخابات وانتزاع الجمعية من براثن السلطة لتفوز قائمة (القزاز) وليصبح رئيساً لعمال الميكانيك في ٢٦ / ٤ / ١٩٣٢ ثم اعيد انتخابه عام ١٩٣٣ ليكون نقيباً لكل عمال العراق فغير اسم الجمعية إلى نقابة اتحاد العمال في العراق مستفيداً من نظام الجمعية الذي يخول تبديل اسمها وقد عقد اول مؤتمر لاتحاد عمال العراق في ١ / ١ / ١٩٣٣ في بناية (فندق بغداد).

وقد تقرر فيه ان تعمل النقابة على مكافحة الامية بين العمال وفتح مقرات لها في الفروع والمطالبة بسن قانون لحماية العمال وقضاياهم من خلال انشاء (محكمة العمل) كذلك توجيه النقابات نحو الافق الدولي عبر اتصالها بمكتب العمل الدولي ومناشدته طلب المعونة والمساعدة في تذليل العقبات التي تعترض سبيل تطورها وتقدمها.

العمال وسلطة صدام

النقابات في العراق كان شأنها شأن القطاعات الاخرى التي تعرضت لبطش واستلاب السلطة ولتجعل منها خادماً امنياً لنزوات صدام واهدافه الشخصية غير المشروعة.

النقابي (هاشم جونه) من الذين عاصروا بداية العمل النقابي في العراق وساهم في تزعم عدد من الاضرابات العمالية يتحدث قائلاً:

اول ما قامت به السلطة في العراق ابان عهد الطاغية صدام جعلت الحركة النقابية العمالية تابعة للسلطة ومؤتمرة بأوامرها وأوامر الحزب الواحد وبالتالي التجاوز على حقوق العمال وجعل اللجان النقابية في المصانع والشركات دوائر بوليسية وأمنية لرفع التقارير عن العمال إلى الدوائر الامنية وكان العمال يعتقلون بمؤازرة لجانهم النقابية.

كذلك سعى نظام صدام إلى افراغ العمل النقابي من محتواه بجعله عملاً وظيفياً لا عملاً نضالياً. فقام بتغيير القادة النقابيين لابعادهم عن الوسط الفاعلين فيه إلى اوساط اخرى فقد تم نقل رئيس نقابة الخدمات إلى رئاسة نقابة الكهرباء ورئيس نقابة السكائر إلى نقابة النسيج لاحداث تخلخل يتمكن النظام من خلاله تشديد قبضته على النقابات العراقية وكانت تلك بوادر الاجهاز عليها وتهميشها بالكامل وتوالت عمليات بهذا الاتجاه إلى ان صدر القرار. (١٥٠) لعام ١٩٧٨ بتحويل العمال إلى موظفين وهو قرار مخالف للقرارات الدولية ففيه تجاوز على حقوق العمال وكان النظام يقصد منه تمييع الحركة النقابية برمتها كونها تشكل عقبة للنظام بسبب تأثرها بالاحداث الدولية والتطورات الجارية في العالم التي تنعكس على عملها في داخل العراق وهذا ما كان لا يسمح به نظام دكتاتوري مثل نظام صدام المباد لاسيما ان النقابات العمالية قد قامت بعدة اضرابات تحدت بها سلطة صدام مثل اضراب معمل البيبسي كولا الذي حصلت فيه مصادمات مع الشرطة والامن ففكرت في التخلص من ذلك والغاء قانون العمل الذي يجيز للعمال الإضراب للتعبير عن مطالبهم وحقوقهم!

اضراب عمال الزيوت

ويستعيد النقابي (هاشم جونه) من ذاكرته بعض احداث اضراب عمال الزيوت فيقول:

اضراب عمال الزيوت اواخر عام ١٩٦٨ طالب فيه العمال بزيادة اجورهم وقاد هذا الاضراب آنذاك الدكتور عبد جاسم بالاشتراك مع نقابيين من الحزب الشيوعي العراقي والحركة العربية الاشتراكية.

كنت مسؤولاً عن قيادة كفاح العمال مع الزميل محل الدليمي وعقدنا اجتماعاً للعمال واعلنا الاضراب وفيه عدة مطالب عمالية فجوبه في الساعات الاولى من قبل البعثيين واجهزة الشرطة والامن ومن جرائه قتل العامل (جبار) برصاص جهاز حزب البعث بينما اصيب عدد من العمال واعتقل عدد آخر منهم. وقد كان صدى هذا الاضراب مدوياً فعقدت على أثره عدة اجتماعات عمالية عالمية وعربية استنكرت فيه جريمة الاعتداء على العمال في مصنع الزيوت.

النقابة وشعارات حزب البعث

رئيس نقابة عمال السكائر السيد (شايع) نعود اليه ليحدثنا عن اول مؤتمر نقابي تم عقده بعد انقلاب عام ١٩٦٨ ليقول لنا:

عند مجيء النظام البعثي كنت ارأس نقابة عمال السكائر وعقد المؤتمر من اجل تسليم نقابة عمال السكائر إلى البعثيين. وخلال عقد المؤتمر وفي داخل القاعة كانت شعارات حزب البعث ملصقة في كل مكان فأعترضت على ذلك باعتباره مخالفاً لاصول عمل النقابة التي يتوجب عليها عدم الانحياز إلى التوجه السياسي مهما كان ويقتصر عملها على احتضان العمال بغض النظر عن ميولهم السياسية كونها واجهة مهنية لا سياسية وكان المكان يعج بالصحفيين والاعلاميين وكذلك كامرات النقل التلفزيوني لكنها لم تنقل وقائع المؤتمر بعد ان حصلت مشادة كلامية بيني وبين البعثيين وقف فيها القاضي المشرف على هذا المؤتمر إلى جانبي واذكر طرحت فيه قائمتان للتصويت عليهما. قائمة باسم (فلاح مطر) وقائمة باسم (بدن فاضل) وهما من البعثيين وقد فازت القائمة التي كان يترأسها بدن فاضل بعد ان مورس علي ضغط لكي لا اطرح نفسي مرشحاً وبعد ان انهي المؤتمر القي القبض علي من قبل السلطات الامنية مع النقابي (حطاب جونه) واودعنا المعتقل وكانت خطة السلطة انذاك هي زرع الرعب والخوف في نفوس العمال وقادتهم من غير البعثيين.

الطبقة العاملة في العراق والعملية السياسية

القرار (١٥٠) لسنة ١٩٨٧ الذي اصدره نظام صدام وبعض القوانين التي تضر بالعمل والعمال ما زالت سارية المفعول.

ويرى قادة الحركة النقابية في العراق من الذين كان لهم الدور المشهود في عمل النقابات ان الحكومات المتعاقبة في العراق كانت تسعى إلى جعل الطبقة العمالية مرتبطة بها وورقة تتلاعب فيها وفق اهوائها السياسية ودوافعها الشخصية. وما مطلوب الآن هو وجود حركة نقابية مهنية مستقلة وغير خاضعة لتنظيم سياسي وانما تمثل مصالح الطبقة العمالية.

ان مصالح الطبقة العاملة ان كانت مرتبطة بالسياسة والسياسيين فان نضال قادتها النقابيين سيكون مستعصياً وشاقاً من اجل الفصل ما بين حركة العمال والذيلية للسلطة أو الحزب السياسي فنقابات العمال في حقيقتها اكبر من ان يحتويها تنظيم سياسي فاستقلالية النقابات ضرورة من اجل ان تنبري للدفاع عن مصالحها، خاصة في هذا الوقت الذي يمر به العراق. ان بعض العناصر النقابية في هذا الوقت يعملون على انشاء اتحاد نقابات عمالية متعددة وهذا ما يجعل الحركة النقابية ممزقة والدعوة إلى اتحاد واحد يشترك فيه الجميع يجعل من العمال قوة ضاربة تستطيع فرض نفسها بقوة وتحصل على حقوقها كاملة.

برصاص (الرفاق) استشهد العامل جبار في المواجهات التي حصلت مع الشرطة ومنظمة حزب البعث خلال اضراب عمال الزيوت اواخر ١٩٦٨

قرار ١٥٠ في ١٩٨٧ بتحويل العمال إلى موظفين مخالف للقوانين العمالية الدولية ويعتبر تجاوزاً على حقوق العمال

أشهر الإضرابات العمالية في العراق

يعد اضراب عمال (كاور باغي) من اول الاضرابات العمالية في العراق وقام به عمال شركة النفط في كركوك في الاربعينيات من اجل تحديد اوقات العمل ورفع الاجور ويذكر ان العامل العراقي كان يعمل من حين طلوع الشمس إلى غروبها وقد جوبه هذا الاضراب من قبل سلطة المستعمرين الانكليز والتنكيل بهم. كذلك اضراب الباخرة المصرية (كيلوبوترا) التي بقيت عدة ايام على احد الارصفة الاوروبية دون تفريغ حمولتها بتحريض من الاسرائيليين وقد عجز القادة العرب عن حل مشكلتها إلى ان دعي إلى اضراب عام في الدول العربية ساهم فيه عمال الموانئ في البصرة بالامتناع عن تفريغ حملات البواخر الاوروبية مما دفع الاوروبيين إلى الاسراع في تفريغ حمولة الباخرة المصرية، كذلك اضراب عمال السكك عام ١٩٥٦ في عهد وزارة فاضل الجمالي الذي اريد منه تحديد ساعات العمل ومنه انبثق قانون العمل في العراق وتم تحديد اوقات العمل بثماني ساعات وحدد اجر العامل بـ ٢٥٠ فلساً.

اول اتحاد نقابي علني

في عام ١٩٥٨ اعلن عن قيام اول اتحاد علني لعمال الغزل والنسيج في العراق بعد ان حصل على اجازة من حكومة نوري السعيد قبل سقوط العهد الملكي في العراق وقد ترأس هذا الاتحاد النقابي (صادق الفلاحي) من الحزب الشيوعي العراقي بمعاونة (علي شكر) و (محمد غضبان) لتنتقل فيه النقابات من دور السرية إلى دور العلن.

ومما تجب الاشارة إليه ان الحزب الشيوعي العراقي لعب دوراً بارزاً في قيادة النقابات وضحى بالعديد من كوادره وقد افادوا نهضة الحركة العمالية في العراق كثيراً وارسوا أولى دعائمها.

نوري سعيد والعامل كاظم

اراد نوري السعيد اعتقال العامل (كاظم معن) وحبسه في السجن لانه كان يسمعه دائماً يردد شعارات مناهضة له ويدعو إلى اسقاطه عندما يمر بساحة حافظ القاضي التي كان معمل سكائر التركي يقع على مقربة منها فجيء به إليه معتقلاً، ليسأله قائلاً:

-هل انا قاتل ابيك لترفع الشعارات ضدي؟

فأجابه:

-انت مع الاستعمار

فنظر في وجهه ملياً ثم أمر باعادته إلى المعمل الذي كان عماله يتهيؤون لاضراب يدعو إلى اخراجه من الاعتقال.

مواطنو محافظة ذي قار يستذكرون كرنفالات عيد العمال العالمي

الناصرية / حسين كريم العامل

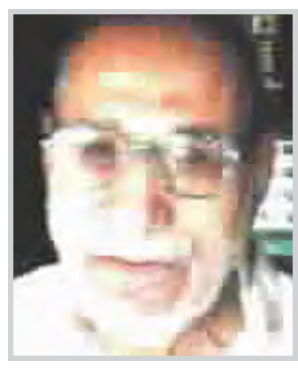

وانا اشهد هذا التراجع الذي تمر به الحركة النقابية اكاد لا اصدق ما يقوله اصدقائي العمال عن تظاهراتهم المليونية التي انطلقت في الاول من ايار في شارع الرشيد عام ١٩٥٩، فخلال الاعوام الثلاثة الماضية التي تفاعلت فيها الاصطفافات الطائفية المقيتة لم تنطلق ولو تظاهرة عمالية واحدة بعشر هذا الرقم المليوني لتقول لساستنا: نحن هنا في الخنادق فلا تهمشوا دورنا.

(المدى) وبمناسبة عيد العمال العالمي توجهت إلى معاقل العمال لتسألهم عن كرنفالات الاول من ايار ايام زمان وعن اسباب تراجع دور الطبقة العاملة في المرحلة الراهنة.

كرنفالات شعبية

البروليتاري محسن مهدي ٧٤ عاما قال:

لقد كان عيد العمال العالمي اشبه ما يكون بالعيد الشعبي وقد كان يطغى في بعض الاحيان حتى على الاعياد الدينية فالكرنفالات والمسيرات والفعاليات العمالية كانت تشعر الناس البسطاء بالارتياح وقد كانت حتى الطبقات المتوسطة تشارك في الاحتفال بهذا العيد، فالعمال في عهد عبد الكريم قاسم (١٩٥٨- ١٩٦٣) كانوا يستعدون لهذا اليوم قبل اكثر من اسبوع للاحتفال به، لكن الحال تغير بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ حيث تراجع الاهتمام بهذه المناسبة نتيجة حملات الاعتقال والتصفيات التي طالت العمال والقادة النقابيين، اما سبب تراجع الاهتمام بهذه المناسبة في الوقت الحاضر فيعود الى سياسة التأليب والتخندق الطائفي وتذويب روح المواطنة وتفشي البطالة وتعطيل دور النقابات وانحسار دور الاحزاب العلمانية والديمقراطية.

اما الفنان (حسون الشنون) الناشط في مناصرة قضايا العمال فقد قال:

كان الاول من ايار يوما عالميا ووطنيا في الوقت ذاته وقد كانت تحتفل به جميع الشرائح الاجتماعية بدون تمييز وذلك من خلال المسيرات الشعبية والفعاليات الفنية واطلاق العنان للدبكات والهوسات والاهازيج، وقد كان الاحتفال بالعيد كرنفالا شعبيا في الهواء الطلق، اما التراجع الحاصل في دور الطبقة العاملة في الوقت الحاضر فيعود الى تدهور الوضع الامني وعدم استقرار الاوضاع الاقتصادية وهيكلة التنظيمات النقابية اضافة الى التداعيات السياسية الاخرى.

انتعاش ديمقراطي

ووافقه الراي الثوري المتقاعد (عقيل حبش) ٦٤ عاما قائلا:

ان سبب تراجع دور الطبقة العاملة في الظرف الراهن يعود إلى تراجع الانتماء الطبقي وطغيان الاصطفاف الطائفي وضعف الاحساس بروح المواطنة كما ان تراجع الوعي وهيمنة الافكار المتخلفة ساهما بشكل كبير في تغييب دور العمال في العملية السياسية، وباعتقادي ان انتعاش دور الطبقة العاملة يرتبط ارتباطا وثيقا بفاعلية الحركة الديمقراطية وتراجع المد الطائفي.

ومن جانبه هنأ السجين السياسي السابق (شاهين حثال الطائي) ٦٨ عاما الطبقة العاملة بعيدها المجيد وعبر عن رايه قائلا:

ان عدم اهتمام الشرائح الاجتماعية بأعيادها الخاصة ومنها الطبقة العاملة يعود الى حالة الارتباك الحاصلة في العملية السياسية التي انعكست سلبا على مجمل الاوضاع الاقتصادية الامنية وادت الى تعطيل دور هذه الشرائح والطبقات الاجتماعية. فعامل الخوف وتفشي البطالة والبحث المستمر عن لقمة العيش جعلت العراقيين لا يكترثون حتى باعيادهم ومناسباتهم الجميلة.

ترهل طبقي

في حين رد (ابو زمن) ٤٨ عاما اسباب نكوص الطبقة العاملة وعدم فاعلية دورها في الحياة السياسية الى ترهل النقابات وقلة وعي العمال وانشغال معظمهم في عملية البحث عن لقمة العيش قائلا:

ان عملية البحث عن فرص العمل والخوف من المجهول جعلا من العمال رهينة للقلق، كما ان التخبط السياسي واستفحال ظاهرة التخندق الطائفي ساهما بشكل كبير في تهميش دور الطبقة العاملة التي مازالت قياداتها النقابية غير فاعلة في المطالبة بحقوق العمال والدفاع عن مصالحهم وحماية المكتسبات التي حققوها عبر نضالاتهم الطويلة.

اما (عادل محسن) ٤٨ عاما الذي قدم بدوره التهنئة للطبقة العاملة بمناسبة الاول من ايار فقد عبر عن رايه قائلا:

ان ما يجري الان هو عملية اغتيال لدور الطبقة العاملة وذلك عبر تاسيس ثقافات مذهبية وطائفية تؤدي الى خنق الوعي الطبقي وانحسار القاعدة الشعبية والسياسية المناصرة لقضايا العمال وخير دليل على ذلك هو سياسة التصعيد الطائفي والتخندق المذهبي وسن القوانين التي تعمل على تعطيل دور النقابات ومنظمات المجتمع المدني. وباعتقادي ان النهوض بوعي العمال وتفعيل دور النقابات هو الذي سيعيد للطبقة العاملة مكانتها في الحياة السياسية ويجعل من عيد العمال عيدا شعبيا ذا نكهة مميزة.